

في أقسام القرآن

& ابن القيم أفرده بالتصنيف في مجلد سماه التبيان في أقسام القرآن.
تعريف القسم هو تحقيق الخبر وتوكيده حتى جعلوا قوله تعالى (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) إنه قسم وإن كان فيه أخبار بشهادة/لأن لما جاء توكيدا للخبر سمي قسما .
 & سؤال/ما معنى القسم من الله/فإن كان للمؤمن، فالمؤمن مصدق بمجرد اخباره بدون قسم/وإن كان القسم للكافر فلا فائدة

الجواب: ١/ القرآن نزل بلغة العرب ، ومن عادة العرب القسم لتأكيد الأمر.
 ٢/ وقيل/ذكر الله القسم لكمال الحجة وتأكيدها/لأن الحاكم(القاضي)يفصل بين اثنين/إما بالشهادة وإما بالقسم. فذكر الله النوعين في القرآن لئلا يبقى حجة لمخلوق، الدليل للشهادة(شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولوا العلم)وللقسم(قل إني وربي إنه لحق)وروي لما سمع أعرابي(وفي السماء رزقكم وما توعدون*فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما انكم تنطقون بالذاريات)صرخ وقال من ذا الذي أغضب الجليل حتى أجاه إلى اليمين ؟
 & لا يكون القسم إلا باسم الله المعظم . وقد أقسم الله بنفسه في القرآن في سبعة مواضع:
 ١/ (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) بالتغابن)
 ٢/ (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْعَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣) سبأ)
 ٣/ (وَيَسْتَنْبِئُوكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥٣) يونس)
 ٤/ (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثَّةً (٦٨) بمریم)
 ٥/ (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) الحجر)
 ٦/ (قُلْ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) بالنساء)

٧/ (٣٩) قُلْ أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) بالعارج)
 والباقي كله قسم بمخلوقات الله في القرآن كقوله(والتين والزيتون)(والشمس)(والليل)،
 (والضحى)(فلا أقسم بالخنس)(والصافات).

& سؤال/كيف أقسم الله بالمخلوق علما ورد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم/عن القسم بغير الله فقال
 من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك رواه الترمذی .

فالإجابة عنها، عدة أوجه منها:

(١) أنه على حذف المضاف، التقدير أى ورب التين، ورب الشمس، وكذا الباقي .
 (٢) أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها، فنزل القرآن على موافقة لعادات العرب .
 (٣) أن القسم إنما يكون بما يعظمه المقسم أو يجله، والله فوق كل شيء، والله تعالى ليس شيء فوقه/فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته/لأنها تدل على باري وصانع .
 قال ابن أبي الإصبع في اسرار فواتح السور قال القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع/لأن ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل/لأنه مستحيل وجود مفعول بدون فاعل وقيل/إن الله يقسم بما شاء من خلقه/وليس لأحد أن يقسم بغير الله .
 ♦ قال العلماء: أقسم الله تعالى بالنبى صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى(لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون بالحجر) لتعرف الناس عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم عند الله ومكانته لديه .
 وقال ابن عباس: لم يخلق الله من مخلوقاته أنفس وأزكى وأكرم من الرسول صلى الله عليه وسلم، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غير الرسول صلى الله عليه وسلم في(لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون بالحجر) .

♦ قال أبو القاسم القشيري: القسم بالشئ نوعان فقط، إما:

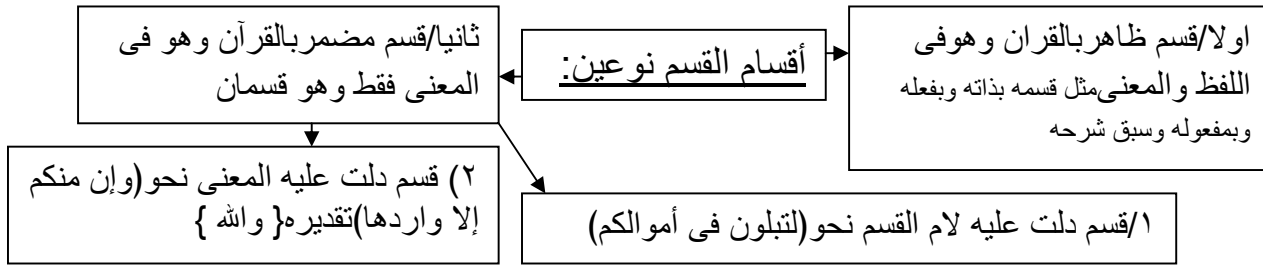
١/ قسم لفضيلة نحو (وطور سنين* وهذا البلد الأمين) لأن هذا الجبل الذي كلم الله موسى عنده والبلد الأمين: هي مكة التي شرفها الله .

٢/ قسم لمنفعة نحو قوله (والتين والزيتون) به فوائد للصحة والشفاء كثيرة
♦ وقال غيره: أقسم الله تعالى بثلاثة أشياء:

(١) قسم بذاته : (فوربك لنحشرنهم والشياطين) وغيرها .

(٢) قسم بفعله : (والسماء وما بناها* والأرض وما طحاها* ونفس وما سواها)

(٣) قسم بمفعوله: (والطور* وكتاب مسطور)، (والنجم إذا هوى) .



قال أبو على الفارسي/الألفاظ الجارية مجرى القسم ضربين (نوعين)

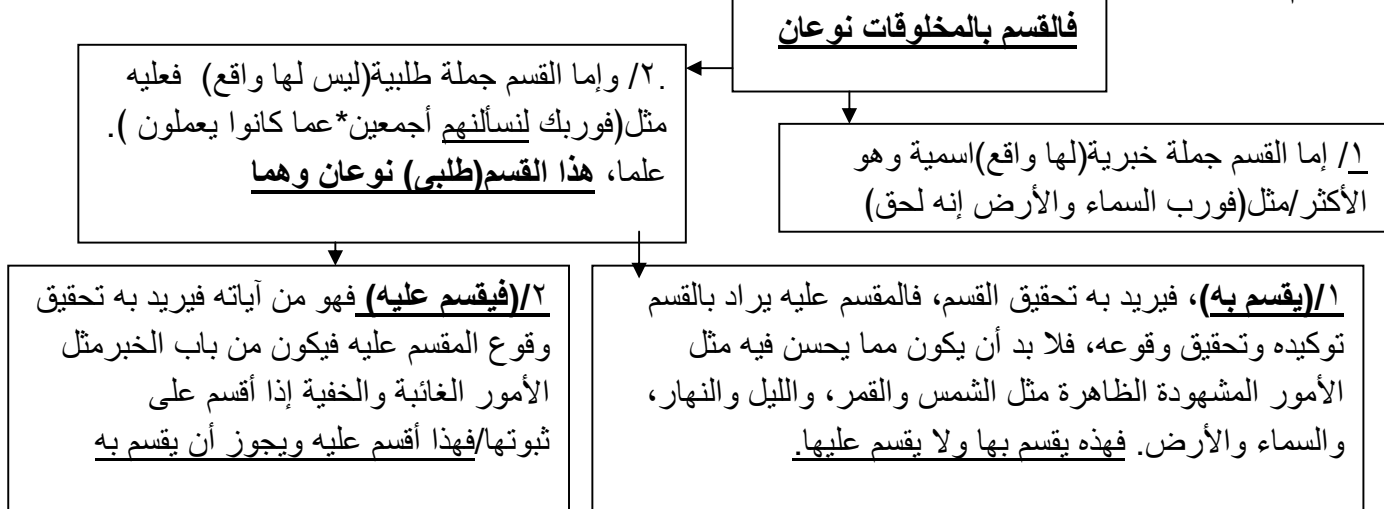
(١) تكون مثل غيرها من الأخبار التي ليست قسم، فلا تجاب بجواب القسم مثل (وقد أخذ الله ميثاقكم إن كنتم مؤمنين)// ورفعنا فوقكم الطور خذا// (يحلفون لكم)// وهذا يجوز أن يكون قسماً ويجوز أن يكون حال، لخلوه من جواب القسم .

(٢) ما يتلقى (ياتي) بجواب القسم، مثل (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس) (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن) .

وقيل/أكثر أقسام القرآن التي بالواو محذوفة الفعل (والطور/والتين) أما إذا ذكر القسم بالباء أتى بالفعل مثل (وأقسموا بالله (يحلفون بالله). ولا تجد باء القسم مع حذف الفعل/لذا، خطأ من جعل قسم في// (بالله إن الشريك لظلم عظيم) (بما عهد عندك) (بحق إن كنت قلته فقد علمته) .

وقال ابن القيم/الله يقسم بمخلوق على بمخلوق/ويقسم بالخالق على الخالق (فيقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته، أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته) .

وأقسم الله ببعض مخلوقاته دليل على أنها من عظيم آياته



وقد يذكر الله جواب القسم تارة وهو الأكثر، وقد يحذف جواب القسم بسبب كثرتة في الكلام، واكتفى بباء القسم/كما يحذف جواب (لو) كثيرا للعلم به/ثم جعل واو القسم في الأسماء الظاهرة بدل من باء القسم/وجعل التاء مع اسم الله بدل من الباء مثل(وتالله لأكيدن أصنامكم)

فالله يقسم على الأمور الآتية:

١/ أقسم على أصول الإيمان/التي تجب على الخلق معرفتها مثل الإيمان بالملائكة، مثل(والصافات صفا ٠٠ حتى قوله إن إلهكم لواحد).

٢/ أقسم على التوحيد/مثل (فلا أقسم بمواقع النجوم (٧٥) وإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَفُرْقَانٌ كَرِيمٌ (٧٧) بالواقعة).

٣/ أقسم أن القرآن حق/مثل (يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين)(والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى)
٤/ أقسم أن الرسول حق/مثل(وَالذَّارِيَاتِ ذُرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) بِالذَّارِيَاتِ (٦) وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧)) بمعنى أن الرسول حق فيما أخبركم عن القيامة

٥/ القسم يدل على الجزاء والوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين/مثل(والليل إذا يغشى إلى قوله إن سعيكم لشتى)
(والعاديات إلى قوله إن الإنسان لربه لكنود)(والعصر ﴿٥﴾ إن الإنسان لفي خسر)(والتين إلى قوله لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم)(لا أقسم بهذا البلد)

٦/ يقسم على حال الإنسان/مثل(لقد خلقنا الإنسان في كبد)

نقول الأصل ذكر المقسم عليه(جواب القسم)، وغالبا حذف جواب القسم إذا ذكر دلالة تدل على المقسم عليه ويكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز، مثل(ص والقرآن ذى الذكر)المقسم به تعظيم القرآن ووصفه بأنه (ذو الذكر)المتضمن لتذكير العباد ما يحتاجون إليه والشرف والقدر، ما يدل على المقسم عليه، وهو: كونه (حق من عند الله) ولذا قال ابن كثير تقدير الجواب: (ان القرآن لحق)، لأن الجواب غير موجود في الكلام. وهذا مطرد في كل ما شابه ذلك، مثل(ق ﴿٥﴾ والقرآن المجيد) (لا أقسم بيوم القيامة)يتضمن إثبات المعاد والحساب. وقوله (والفجر ﴿٥﴾ وليال عشر) فهي أزمان تتضمن أفعال معظمة من المناسك وشعائر الحج، التي هي عبودية خالصة لله وذل وخضوع لعظمته، وفي هذا تعظيم لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم و ابراهيم.الذى بنى الكعبة

ومن لطائف القسم(والضحى ﴿٥﴾ والليل إذا سجي) أقسم الله بإنعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم وإكرامه له؛ ويتضمن لتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة، فهو قسم على النبوة والمعاد، وأقسم بأيتين عظيمتين من آيات الله فتأمل(تدبر)مطابقة هذا القسم، المقسم عليه وهو نور الضحى الذى يأتى بعد ظلام الليل مطابق لنور الوحي الذى يأتى بعد احتباسه عنه الناس/حتى قال أعداؤه: رب محمد ودعه، فاقسم الله بضوء النهار بعد ظلمة الليل مثل ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه بعد ذلك